

النقل الثقافي للاختبارات النفسية ذات المنشأ الغربي في البيئة الجزائرية

عباس عبد الرحمن، جامعة البليدة 2 علي لونيبي

مهلل زينة، جامعة الحاج لخضر - باتنة

ملخص:

إن المتتبع إلى واقع الاختبارات النفسية يجد أن استعمالها أصبح موجود في كافة المجالات الحياة بالإضافة إلى الحاجة الماسة للاختبارات النفسية من قبل الباحثين في البيئة الجزائرية، إلا أن هذه الاختبارات المترجمة التي أصبحت تستخدم في الجزائر فتحت مجالا واسعا من الشك في ملائمتها للخصوصية الفرد الجزائري وبيئته الثقافية وان عملية التقنين والترجمة التي خضعت لها كانت في بيئات عربية غير الجزائرية وهي في الاصل غير كافية للحكم على مدى صلاحية استعمالها في ثقافة اخرى، ونظرا لاختلاف البنية الثقافية للبيئة الجزائرية عن باقي البنيات الثقافية الغربية، (الدين، العادات والتقاليد، ظروف الحياة، اللغة، المستوى الثقافي والاقتصادي والاجتماعي) كلها أمور تجعل من استعمال الاختبارات المترجمة والمقننة فقط عامل مهم في انحياز هذه الأخيرة، إذ أن الإشكاليات التي واجهت الاختبارات في الوطن العربي هي تحيزها، فأغلب الاختبارات المقننة والمترجمة يدعى أنها متحيزة ثقافيا. (عبد الفتاح، 1990)، لذا أصبحت عملية ككيفية الاختبارات النفسية ذات المنشأ الغربي ضرورة لا بد منها حيث يشير Ham-bleton أن هناك عدد كبير من الإثباتات عن أن الحاجة إلى عملية تكيف الاختبارات وإلى نسخ معدة بلغات متعددة من اختبارات الذكاء والشخصية أصبح ضروري جدا نظرا لازدياد الاهتمام بأبحاث عبر الثقافات (Patsula, 1999 & Hambleton) ونظرا لعدم وجود أدلة كافية على صحة النسخ المترجمة والمقننة المستعملة في الجزائر وهذا ما يؤكد (Hambleton, 1994) في أن الكلمات والمفاهيم في إحدى اللغات قد لا تحافظ على الدلالات والمعاني نفسها في لغة أخرى، وأن الترجمة إلى اللغة العربية مشكلة كبيرة وحتى أن اللغة العربية تختلف من بلد إلى آخر، وأن الانتقادات التي توجه إلى الاختبارات العابرة للثقافات أن النص المترجم لا يوصل المعنى نفسه ولا يحافظ على مستوى الصعوبة نفسه في النص الأصلي (Hambleton & All, 1999).

وعليه يمكن القول أن ترجمة الاختبارات النفسية وتقنياتها غير كافية تمام لجعل الاختبارات الغربية صالحة في البيئة الجزائرية فالترجمة هي اول مرحلة تعتمد في عملية التكيف في حين التقنين هو اخر مرحلة من عملية التكيف والذي نقصد به اعادة صياغة

المعايير الخاصة بالاختبار لكن عملية التكيف فهي قدرة الاختبار تقدير تركيبة الاختبار ذاتها في لغة وثقافة أخرى والتي تشمل الاختلافات اللغوية الثقافية، قواعد الدرجات، لغة التعليمات، ألفة الاختبار، تكافؤ البنود والبنية الاختبار، إدارة الاختبار، تكافؤ المنهج، صدق الاختبار المكيف، خصوصية المجموعة المستهدفة ومعايير الاختبار، وهذه العناصر وجب على الباحثين التأكد منها كافة من أجل الوصول الى نسخة من اختبار ما صالحة في البيئة الجازئية

كلمات مفتاحية: التكيف، الانحياز الثقافي، التكافؤ، الترجمة العلمية للإختبارات النفسية، الصدق الثقافي

Abstract

Anyone who has followed the reality of psychological tests find that its use has become present in all areas of life as well as the urgent need of psychological tests by researchers in the Algerian environment, but these localized tests that are being used in Algeria opened a wide range of uncertainty in the suitability of privacy Algerian individual and his environment cultural and that the process of codification and translation undergone by were in non-Algerian Arab environments which originally is not enough to judge the extent of their use in another culture has expired, and because of the different cultural structure of the Algerian environment from the rest of the Western cultural structures, (religion, customs and traditions, the conditions of life, language, cultural, economic and social level), all of which make use of the translated tests and inhalers only important factor in the bias of the latter, as the problems faced by the tests in the Arab world is biased. Most inhalers and translated tests allegedly culturally biased. (Abdel Fattah, 1990), so conditioning psychological Western-origin testing process has become a necessity that should be where Hambleton indicates that there are a large number of evidence that the need for a process of conditioning tests and to copy stomach in multiple languages of intelligence and personality tests become very necessary because of the increased interest research across cultures (Hambleton & Patsula, 1999 Due to lack of sufficient evidence that the translated versions and inhalers used in Algeria's health and this is confirmed by Hambleton (1994) in that the words and concepts in a language you may not maintain its connotations and meanings themselves

in another language, and that translation into Arabic language a big problem and so that the Arabic language vary from country to country, and that the criticism of the cross-cultural tests that the translated text does not arrive the same meaning and maintains the same level of difficulty in the original text (Hambleton & All, 1999).

Thus, we can say that translation psychological tests and codified inadequate fully to make the Western tests are valid in the Algerian Environment Translation is the first stage depends on air-conditioning process while rationing is the last stage of the adjustment process which we mean by rewriting own testing standards but the conditioning process they test estimate the ability of the same test combination in other language and the culture, which includes the linguistic and cultural differences, the rules of the stairs, the language of instruction, affinity test, equal terms and structure of the test, test management, equal curriculum, test conditioner sincerity, the privacy of the target group and testing standards, and these elements shall researchers checked all in order to reach a copy of the test is valid in Algerian environment.

Keywords: adaptation, Cultural bias, parity, Scientific Translation of psychological tests, validity cultural.

مقدمة:

يعد القياس النفسي من أهم مجالات علم النفس الحديث التي يتمحور حولها اهتمام كثير من الباحثين والدارسين في المجال السيكلوجي، ذلك أن القياس النفسي يخدم الكثير من صناعات القرار والأخصائيين النفسيين في توجيه العديد من الأفراد نحو ما يناسبهم من مجالات الحياة المختلفة وتوجيههم أفضل توجيه لفهم وتشخيص مشكلاتهم التي تعترض توافقهم في حياتهم اليومية التي يعيشونها. ذلك بالإضافة لما له من أهمية في تفسير العديد من الظواهر النفسية التي يدور حولها الكثير من الجدل العلمي. وعلى ذلك فإن على المربين والأخصائيين التربويين والنفسيين التعرف على الإمكانيات الكامنة والقدرات غير المبلورة لدى النشء من خلال تصميم أدوات القياس المناسبة والاختبارات ذات الخلفيات الثقافية المحلية، ومن ثم الاستفادة من البيانات التي يتم الحصول عليها من تطبيق هذه الاختبارات. (ال ثاني، 2002)

إن الوضع الراهن في معظم الوطن العربي يتمثل في حاجتها إلى الاستفادة من خبرة الآخرين في هذا الميدان وتطوير هذه الخبرة بما يلاءم ظروفها ولذلك نجد أن

معظمها هذه لا يعد إختباراتها النفسية، لأن ذلك يتطلب جهداً علمياً فائقاً، ونستعيز عن ذلك بتعديل الإختبارات التي ظهرت في الدول الغربية المتقدمة، ويتطلب هذا بالطبع القيام ببحوث علمية حول هذه الإختبارات تمثل فئة خاصة من البحث العلمي في ميدان القياس النفسي والعقلي والتربوي هي بحوث التقنين وذلك بهدف أن تصبح هذه الإختبارات أكثر ملائمة للظروف الجديدة. وبتتبع حركة الإختبارات النفسية العقلية في العالم العربي بوجه عام، وفي البيئة الجزائرية بوجه خاص نجد أن هذه الإختبارات لا تتناسب أبداً مع الحاجة الماسة والملحة لهذه الإختبارات في مختلف نواحي الحياة النفسية والتربوية والمهنية، فمعظمها مترجم فقط أو أعيدت استخراج خصائصها السيكمترية على الأكثر، وحتى الإختبارات التي يدعى أصحابها أنها مقننة لا تستوفي كامل شروط التقنين ومما سبق قام الباحث بتبيان أهمية تكييف الإختبارات النفسية بدل من ترجمتها وتقنينها في العناصر التالية: مسائل مفاهيمية في تكييف الإختبارات النفسية، أثر العوامل الإجتماعية والثقافية في نتائج الإختبارات، العيوب، والمشكلات الموجودة في الإختبارات المكيفة (المنقولة ثقافياً)، العوامل المؤثرة في صدق الإختبارات المكيفة (المنقولة ثقافياً)، الشروط الواجب مراعاتها من طرف الباحثين في عملية التكييف، الإنحيازات الموجودة في الإختبارات المكيفة (المنقولة ثقافياً) وفي الأخير مستويات التكافؤ في درجات الإختبارات المكيفة (المنقولة ثقافياً).

مسائل مفاهيمية في تكييف الإختبارات النفسية التقنين

هو العملية التي يتم من خلالها التحكم في العوامل غير المناسبة التي يمكن أن تؤثر في عملية القياس وذلك من خلال تخفيض أخطاء القياس إلى حدها الأدنى عن طريق إختبار عينة ممثلة لمجتمع الدراسة يطبق عليها إختبار؛ ومن ثم توحيد فقراته وإجراءات تطبيقه وتصحيحه بشكل يوفر للإختبار خصائص سيكمترية تتفق مع خصائص الإختبار الجيد، ومن ثم توفير المعايير المناسبة لتفسير الدرجات الخام. (زيدان، 1979 : 68)

الترجمة العلمية للإختبارات:

يعرف (Hambleton 1999) الترجمة العلمية للإختبارات النفسية على أنها عملية الوصول إلى مفاهيم، ومفردات وتعابير متعادلة ثقافياً، نفسياً ولغوياً للغة وثقافة أخرى انطلاقاً من لغة وثقافة معينة أو هي ترجمة الكلمات وتعابير مكونة من عدة كلمات بذات اللواتر في اللغتين مع اخذ بعين الاعتبار اللهجات الموجودة داخل اللغة الواحدة (Ham-bleton et Patsula 1999)

التكييف:

يعرف (Hambleton 1991) التكييف بأنه كل الأنشطة بدءاً من تقرير عما إذا كان

باستطاعة الإختبار تقدير تركيبة الإختبار نفسها في لغة وثقافة أخرى، مع محافظة الإختبار على بنيته الأصلية وتتمثل هذه الأنشطة في معادلة صيغتين من إختبار واحد في ثقافتين مختلفتين لغويا وثقافيا ونفسيا والتي تشمل الاختلافات اللغوية الثقافية، قواعد الدرجات، لغة التعليمات، ألفة الإختبار، تكافؤ البنود والبنية الإختبار، إدارة الإختبار، تكافؤ المنهج، صدق الإختبار المكيف، خصوصية المجموعة المستهدفة ومعايير الإختبار. (Hambleton & Bollwark 1991)

الإنحياز الثقافي:

تتضمن كلمة الإنحياز وجود عوامل مزعجة، يقال عن القياس أنه منحاز إذا اختلفت الدرجات المسجلة في إحدى الإختبارات من لغة إلى أخرى بسبب وجود تباين غير مرغوب فيه. ويشير الإنحياز إلى جميع أنواع العوامل المزعجة التي تعيق تفسير اختلاف الدرجات بين مجموعة وأخرى، ويفهم الإنحياز بشكل أفضل من خلال القابلية للتعميم (Hambleton & All, 2005).

التكافؤ:

مصطلح التكافؤ يرتبط ذهنيا بقياس أوجه الاختلاف بين الأعراف وما ينتج عن ذلك يسمى إنحياز، أي أن البند أو الإدارة المنحازة ستعطي درجات غير متكافئة، كما يشير عدم التكافؤ إلى عدم إمكانية المقارنة بين الدرجات، وعملا بهذا العرف فإننا نستعمل عدم التكافؤ كصفة مميزة لدرجات الإختبار التي تأثرت بفعل الإنحياز الثقافي (Hambleton & All, 2005)

الفرق بين الترجمة والتكيف:

من الأفضل استخدام عملية التكيف بدل من الترجمة مع الإختبارات المنقولة ثقافيا، حيث أن عملية الترجمة هي جزء فقط من عملية التكيف وأن عملية التكيف أوسع وأشمل من عملية الترجمة، عند إعداد إختبار تم إعداده للاستخدام في لغة وثقافة واحدة للتطبيق في لغة وثقافة أخرى. حيث يتضمن تكيف الإختبارات النفسية أنه يتمثل في كل الأنشطة بدءا من تقرير عما إذا كان باستطاعة الإختبار تقدير تركيبة الإختبار ذاتها في لغة وثقافة أخرى، إختبار المترجمين، تقرير التكيف المناسب الذي يجب القيام به لإعداد الإختبار من أجل الاستعمال في لغة أخرى. (Hambleton & Bollwark 1991) والتي تشمل الاختلافات اللغوية الثقافية، قواعد الدرجات، لغة التعليمات، ألفة الإختبار، تكافؤ البنود والبنية والإختبار، إدارة الإختبار، تكافؤ المنهج، خصوصية المجموعة المستهدفة. إضافة إلى ما يتعلق بجوانب تطبيق الإختبار من خبرة لدى المفحوصين وجنس المطبق وقدرة المفحوصين على فهم التعليمات ودفاعيتهم للاستجابة للإختبار. وعلى هذا الأساس يمكن القول أن مصطلح التكيف مناسب أكثر منه من الترجمة، وذلك أن المترجمين يحاولون

الحصول على مفاهيم، مفردات وتعابير متعادلة ثقافيا، نفسيا ولغويا للغة وثقافة أخرى، وبذلك تأخذ الترجمة العلمية للإختبارات النفسية أبعادا أكثر من ترجمة محتويات الإختبار حرفيا (Hambleton & All, 2005).

إدارة الإختبار:

تهدد صعوبات التفاهم بين الذين يجرون الإختبار وبين الذين يديرون الإختبار صدق نتائج الإختبار بشكل كبير، فممكن أن تكون التعليمات غير واضحة بسبب صعوبة الترجمة، فيجب أن تكون تعليمة الإختبار مفهومة وواضحة للمفحوص ولا تعتمد على الاتصال اللفظي. كماي. يمكن ان تكون صعوبات في تعليمات التقدير « إختبارات قياس للموقف» لان هذه الإختبارات يمكن أن لا يكون لها وجود في دول أخرى. ((Hambleton, 1998

إن إختيار الاداريين المناسبين للإختبار من الممكن ان يكون مفيد ايضا، فيجب أن تتوفر فيهم الشروط التالية:

- أن يكون المطبقين مطلعين على الثقافة ولغة ولهجة المفحوصين
- لديهم مهارات كافية في ادارة الإختبارات
- أن يدركوا أهمية اتباع التعليمات المقدمة لهم اثناء تطبيقهم للإختبار

شكل ومحتوى الإختبار:

إن التفاوت المؤلف في بنية بنود الإختبار يشكل مصدر آخر لعدم مصداقية النتائج المستخرجة من الإختبار عند نقله من ثقافة إلى أخرى، إذ أن تغيير عدد البدائل في الاستجابة للبند (بالزيادة أو النقصان) له تأثير مباشر على استجابة المفحوص للبند، حيث لا نستطيع أن نجزم أن كل المفحوصين المتقدمين إلى الإختبار مطلعين على تلك النوع من البنود مثل افراد البيئة الأصلية وبالتالي تكون استجاباتهم منحازة عن تلك الإجابات المقدمة في البيئة الأصلية، وهنا وجب تقديم الإختبار في شكل مألوف للمفحوصين حتى نضمن مصداقية هذه النتائج، كما أن ترجمة الإختبار أثناء نقله إلى ثقافة أخرى من الممكن أن يغير في الالفة للإختبار من فئة إلى أخرى (Hambleton & All, 2005).

السرعة:

إن إفتراض أن المتحنيين يعملون بشكل سريع في الإختبارات السريعة، ولكن معرفة العمل السريع هي مهارة في عملية أخذ الإختبار التي من الممكن أن لا تكون معروفة أو مفهومة من قبل الممتحنين في ثقافات مختلفة (Van de Vijver & Poortinga, 1991). حيث وجد (Van Leest, 1995) في دراسته والتي تقارن بين الطلاب الهلنديين وطلاب عرقيات مختلفة في هولندا أن عامل السرعة ضاعف الإنحياز في الدرجات، لأن ليس لدى كل الثقافات الخبرة في الإختبارات السريعة وكان المفحوصين

الفاقدون لتلك الخبرة في وضع حرج جدا، كما وجد أن أيضا بعض البنود الأخيرة في الاختبار عادة ما تظهر تحيزا أكثر من تلك البنود الموجودة في أول الاختبار، يكون الإنحياز هذا عند الالمفحوصين الفاقدين للسرعة وهنا وجب التقليل من عامل السرعة قدر الامكان في الاختبارات النفسية والمعرفية. (Hambleton,1999)

أثر العوامل الاجتماعية والثقافية في نتائج الاختبارات:

إن مستوى أداء الفرد في الاختبارات النفسية يتأثر بخبراته السابقة وبالعوامل الاجتماعية والثقافية التي تكتنفه، فاتجاه الفرد في حد ذاته نحو الاختبار هو عامل مؤثر، كان يخاف منه فيرتبك، أو يقبل عليه فيبذل قصارى جهده، فهذا الاتجاه يلعب دورا هاما في مستوى أداءه على الاختبار، بالإضافة إلى القدرات الخاصة والمعلومات التي يستلزمها حل مشكلات الاختبار، إذ يشير (Persie,1977) في كتابه علم النفس والتربية الحديثة أن احد الباحثين أجرى اختبار بينيه الصورة الامريكية المعدلة على مجموعة من الاطفال في منطقة جبلية في ولاية «كنتكي» وتضمن السؤال ما يلي: إذا ذهبت إلى الدكان وكان معك (10) سنتا واشتريت حلوى بقيمتها (06) سنتا فكم سنتا يردّها اليك البائع فأجاب الطفل إنني لا أملك (10) سنتا، وإذا كنت أملك فلا أنفقها في شراء الحلوى، وهنا تحايل الباحث وغير طبيعة السؤال، إذا كان في المدرسة (10) تلاميذ وأبعد منهم (06) بسبب الإصابة بالحصبة فما عدد التلاميذ الذين يبقون في المدرسة، فأجاب الصبي « لا أحد لأن باقي التلاميذ سيخشون الإصابة بالحصبة فينقطعون عن الدراسة.

إن مغزى من هذا المثال هو أن الاختبار النفسي يستلزم من المفحوص في العادة ان يستجيب لموقف يتطلب نوعا من التخيل كما لو كان الموقف بالنسبة إلى الفرد موقعا واقعيا، ومعنى هذا أنه إذا لم يكن لدى الفرد خبرة سابقة أو تدريب أو ألفة لهذا الموقف فإنه يجد صعوبة في الإجابة الصحيحة وقد تتعذر عليه الاتجابة كلية، وليس في هذا كله بالضرورة دليل على أن الطفل يعجز عن القيام بعملية حسابية بسيطة إذا ما هيننا له موقفا واقعيا يكون ذا مغزى بالنسبة له، بمعنى أنه يرتبط بحاجات الفرد وإهتماماته (Otto Klineberg, 1971).

بالإضافة عنصر الخبرة والتصور يوجد عنصر مهم في الاختبار يتأثر بالعوامل الثقافية والاجتماعية وهو التنافس بين الأفراد والجماعات، وهذا التنافس في ذاته الذي يهيئه للاختبار يتأثر بالقيم والاتجاهات السائدة في المجتمع حيث تشير دراسة (Por-tiusse, 1972) والتي أجراها في استراليا على السكان الاصليين حيث طبق اختبار هو عبارة عن مشكلة يتعرف فيها الفرد عن مسلك معين من بين المسالك المختلفة داخل متاهة ليصل الى فتحة تؤدي به الى الخروج من المتاهة، وكان مطلوب من كل فرد أن يؤدي الاختبار بنفسه دون مساعدة الآخرين، فلاحظ ان الموقف الذي كان عاديا بالنسبة الى الأمريكيين أصبح

موقف غريب بالنسبة الى الأستراليين، وذلك لأنهم إعتادوا أن يلجأوا في حل مشكلاتهم الى المشورة والتعاون. وبقوا ينتظرون مساعدة من الفاحص، وكانوا يرون أنه لا يوجد أي مانع في مساعدتهم، والخلاصة هنا أن بعض الإختبارات يترتب عليها آليا تحفيز الافراد الى بذل قصارى جهدهم في الأداء وهذا الافتراض غير صحيح في كل الثقافات.

يورد Otto Klineberg مثال آخر في عدم تأثر سلوك بعض الافراد في ثقافات مختلفة تأثرا إيجابيا بالتنافس الذي تخلقه الإختبارات النفسية، وكانت الإختبارات المستعملة هي إختبارات أداء وكانت الدرجة التي يحصل عليها الفرد مبنية على عاملين، الأول السرعة التي يؤدي بها الفرد الاختبار والثاني عدد الاخطاء المرتكبة اثناء أداء الاختبار وكانت تعليمية الاختبار تتضمن كلتا العاملين أي (إعمل بأكبر سرعة ممكنة وبكامل الدقة، حيث لوحظ أن الأمريكيين قاموا بأداء الاختبار بأكبر سرعة ممكنة لكن المجموعة الثانية ومكونة من أفراد إحدى القبائل الموجودة في ولاية (واشنطن) لم يحاولوا الإسراع في أداء هذا الاختبار، إذ أنهم لم يروا أي داعي الى السرعة. فهنا نجد أن الثقافة الامريكية تؤكد فيه على أهمية السرعة في إنجاز الاعمال، لم تكن هذ الصفة غير موجودة تماما عند أفراد المجموعة الثانية، وبمقارنة نتائج المجموعتين وجد أن المجموعة الثانية والتي تمتلك ثقافتهم ميزة الدقة والبطئ لم ترتكب الكثير من الاخطاء في حين كانت المجموعة الثانية عرضة للأخطاء. (Otto Klineberg, 1971)

إن نوع الثقافة التي يعيش فيها الفرد لها دور كبير في طريقة الاستجابة التي يسلكها الفرد في الإختبارات النفسية، فهذا الأمر يجب أن يؤخذ بعين الإعتبار في عملية تكييف للإختبارات خصوصا اختبارات الاداء حيث تبين الدراسة قام بها Williams & Bare (1985) (four) تأثير العامل الاجتماعي/ الثقافي في الإختبارات بإستعمال اختبار الذكاء القومي وهو شائع الاستعمال في الو.م.أ حيث يعرض في هذا الاختبار أمام الفرد عدة سطور في كل سطر منها كلمة أصلية تتلوها خمسة كلمات فرعية ويطلب من المفحوص أن يضع خطأ تحت كلمتين فقط من بين الخمسة كلمات بحيث يكون لهاتين الكلمتين علاقة أساسية بالكلمة الاصلية بمعنى أن تكونا بالضرورة من خصائص الكلمة الأصلية. والبند الموالي يبين ذلك:

الكلمة الأصلية

إزدحام

الكلمات الفرعية

(تقارب - خطر - غبار - هياج - عدد)

وقد وضع الاختبار على اساس أن الاجابة الصحيحة عن هذا البند هي كلمة (تقارب، عدد) والسؤال الذي يتبادر الى الأذهان الى أي حد يتأثر الحكم على مثل هذه العلاقة بنوع

الثقافة التي يعيش فيها المفحوص وبالقيم السائدة في هذه الثقافة. طبق هذا الاختبار في البيئة الزامبية حيث كانت معظم إجابات الافراد مختلفة تماما عن الإجابة الصحيحة فقد إختار معظم الافراد كلمة (غبار، خطر) كما إختار البعض الآخر كلمة (هياج) للتعبير عن الإزدحام، هذه الإجابات المقدمة تعتبر خطأ في دليل واضعي الاختبار الاصلي في الوم.أ، فيمكن القول أن كلمة إزدحام يختلف معناها من ثقافة الى أخرى (Williams & Barefoor, 1985)

العيوب والمشكلات الموجودة في الإختبارات المنقولة ثقافيا والمستعملة في الجزائر:

يشير (Kaufman, et AL, 2000) إلى أن أغلب الإختبارات النفسية المنقولة ثقافيا إلى ثقافات أخرى هي إختبارات منحازة ثقافيا، كما أن هناك عدد واسع من الإختبارات ووسائل القياس الأخرى التي تتسم بسهولة التطبيق، إلا أنها تقيس عدداً قليلاً من المكونات والعوامل للسمة النفسية المقاسة بغض النظر عن المكونات الحقيقية للسمة في ثقافة أخرى. ولهذا جاءت الدعوة لضرورة إعداد إختبارات وتكييفها لتتفق والرؤى النظرية والتصورات الحديثة في تفسير السلوك الإنساني وجوانبه المتعددة، مع مراعاة الخصوصية الثقافية للمجتمعات والأفراد والسياق الموقفى للظاهرة محل الدراسة في محتوى تلك الإختبارات، ليس هذا فحسب، بل والدعوة لأهمية إحلال تلك الإختبارات الحديثة محل الإختبارات التقليدية والأنجلو أمريكية المألوفة التي لم تعد محتوياتها تلاحق التطورات السريعة في المتغيرات المعرفية والتعددية الثقافية (Kaufman, AL., 2000).

وعلى الرغم من كثرة تلك الإختبارات وتنوعها وتعدد استخداماتها في قياس جوانب الشخصية المختلفة والسلوك البشري والمشكلات النفسية التي يقابلها الناس في البيئة الجزائرية، فأنها خلفت العديد من الإشكاليات التي أسهمت بشكل كبير في الحد من فعالية ونجاح عمليات القياس والتقويم وعدم تحقيق الهدف المنشود منها (Diz, 1995). والنتيجة عن عمليات الترجمة والتفنين الخاضعة لها ومن أهم هذه الإشكاليات:

1- أغلب الإختبارات المستخدمة هي إختبارات أنجلو سكسونية وأمريكية الصنع والبناء، وتم تعريبها وتطويرها بما يخدم الباحث في دراسته الميدانية على البيئة العربية، هذا على الرغم من إختلاف الخصائص الشخصية للأفراد في المجتمعات الغربية والمجتمعات العربية، بالإضافة للتباين الثقافي والقيمي بينهما (أبو حطب وصادق، 1991).

2- غالبية الإختبارات مترجمة بطريقة تسمح للمفحوصين بتزييف الاستجابة، خاصة تلك الإختبارات التي تقيس جوانب خاصة في الشخصية، أو تكشف عن العالم الداخلي للفرد. فقد تتطلب بعض البحوث النفسية أن يعطي المفحوص بيانات عن نفسه بشكل مباشر،

ويشمل ذلك ميول أو قيم ومعتقدات أو اتجاهات. وقد تختلط الأمور على المستجيب فيجيب عن الأسئلة بوصفها ما يجب أن يكون، أو كما هو مرغوب فيه في الثقافة التي يعيش فيها، وهذا ناتج على أن الترجمة السيئة قد تكشف عن المعنى الكامن للبند وتجعل المفحوص يتجنب أن يعطي الإجابة الصحيحة. (Bramble & Mason, 1997).

3- معظم الإختبارات المُعرّبة لا يتفق محتواها مع ثقافة المجتمع، ولا تخاطب الفرد الجزائري، وبالتالي لا يهتم بها أو يجيب عنها بشيء من الموضوعية والدقة، بل أنه ربما يستكملها إرضاءً للباحث، وفي معظم الأحوال تتسم إجابته باللامبالاة، ويترتب على ذلك توصل البحث لنتائج مضللة لا تعكس واقع السمة المقاسة.

4- عدم وضوح التصور النظري أو المقاربة النظرية التي تكمن خلف بعض الإختبارات، خاصة تلك التي يستخدمها باحثون غير واعين بدرجة كافية بأهمية المنطلقات والبناءات النظرية في بناء وتعبير الإختبارات النفسية، وهذا ما يؤثر في الصدق الداخلي للاختبار أو بالأحرى صدق البناء النظري (Kaufman, AL, 2000).

5- بعض الإختبارات المُعدة للتطبيق على فئة معينة في البيئة الأصلية لكن يقوم الباحثون بتطبيقها على عينات أخرى متباينة ثقافياً واجتماعياً وعمرياً في بيئة ثقافية أخرى (حنا وآخرون 1991).

6- أن الإشكاليات التي واجهت الإختبارات في الوطن العربي هي تحيزها، فأغلب الإختبارات المقننة يدعي البعض أنها متحيزة ثقافياً، فعملية التحيز بأنواعه الثلاث (البنية، المنهج، البند) هو أكبر مهدد لصلاحية الإختبارات المنقولة ثقافياً (عبد الفتاح 1990). فالإختبارات المترجمة والمستعملة في الجزائر لا تكاد تخلو من التحيز. كما أن هناك العوامل الجانبية والتي لها تأثير مباشر في عملية نقل وتكييف الإختبارات من ثقافة إلى ثقافة أخرى فهذه العوامل بالرغم من أهميتها في عملية تكيف الإختبارات النفسية إلى أن كافة المختصين والباحثين لا يعطون لها أي أهمية والتي نذكر منها:

1- تأثير تغير صياغة البنود :

إن عملية ترجمة الإختبارات النفسية عند نقلها من ثقافة إلى أخرى يجعل من بنود المكونة لهذه الإختبارات تبتعد عن مغزى منها أو أنها تتغير في معناها (الإنحياز الثقافي) حيث لوحظ أن نسبة المجيبين بـ «نعم» على بند يعد مؤشراً لسمة غير سارة تتغير عن نسبة المجيبين بـ «لا» للسؤال نفسه بعد التغيير في صياغته اللفظية. فقد اتضح هنا أن نسبة «نعم» تقل عن نسبة «لا» في حين يجب أن تتساوى النسبة نظراً لأن مضمون البند واحد على الرغم من تغير اتجاه صياغته اللفظية (تبيغزة، 2009).

2- إختلاف اتجاهات المفحوصين نحو الإختبار:

إذ يستجيب المفحوص للإختبار تبعاً لدوافعه الشخصية، والتي تختلف من مفحوص لآخر. فقد يستجيب تبعاً لنوع الشخصية المناسبة للموقف، وليس تبعاً لسماته الفعلية وما

يشعر به في الحقيقة، كما قد يزيّف إجاباته. ولكن معظم طرق قياس الشخصية ليست محصنة ضد هذا النقد، كما ان معرفة العوامل التي تؤثر في اتجاه المفحوص نحو الاختبار وعزل هذه العوامل هو المدخل الامثل لضبط العوامل المتصلة باتجاه المفحوص نحو الاختبار (أبو حطب وصادق، 1991).

3- تنوع العوامل التي تؤثر في الاستجابة

من بين هذه العوامل اتجاه المفحوص نحو موقف القياس بشكل عام، ومدى ترحيب المفحوص بالتعاون، وعدم معرفة الانسان بنفسه تماما، فقد تكون الاستجابة خادعا للذات، فضلا عن تأثير عامل الايحاء، فقد توحى بنود الاختبار للمفحوص ان يقبل خبرات على أنها خبراته بينما هي لم تحدث له أبدا في الحقيقة، إذ يضخم القابلون للايحاء ارجاعهم . هذا فضلا عن ذكاء المفحوص ومدى فهمه للنود ومدى تعليمه.

4- أثر "بيرنام":

لوحظ أن العبارات التي تخبر بالطالع يجمعها عنصر واحد مشترك هو أنها تصدق افتراضياً على أي شخص، و من ثم فأنها تعطي انطباعاً خادعاً بأنها دقيقة إذا طبقت على حالة فردية. وهذا هو أثر «بيرنام» الذي يشير إلي استخدام الاختبارات عبارات وأوصاف رشيقة تروق للشخص أو للمريض بتأثير من تفاهتها. ويدفعنا ذلك إلى البحث عن عبارات للاختبارات ذات صدق خارجي (حنا وآخرون، 1991).

5- التفسير الذاتي ونقص المعنى النسبي:

تتضمن الإجابة درجة كبيرة من الذاتية فيما يختص بالإجابة عن معظم الاختبارات. فنأخذ البند مثلاً «هل تتكرر إصابتك بالصداع»، فإن كل شخص سوف يفسر هذا البند تفسيرات مختلفة (أبو حطب وصادق، 1991).

6- عدم الدقة في التقنين والترجمة والتكيف :

كثير من الاختبارات استخرجت معاييرها من تطبيقها على طلاب جامعيين فقط، وهم عينة مختارة ومحتيزة لا تمثل المجتمع، ولم تعتمد عينات متنوعة تبعاً لتأثير متغيرات مثل : السن، الجنس، الذكاء، الطبقة الاجتماعية، التعليم، الوطن. وفي هذا الصدد تشير -Anas (1997) tasi) أنه اثناء بناء وتكييف الاختبارات النفسية، أو عند معايرتها أو تقنينها، يجب تجنب طلبة الجامعات، وذلك لأن هذه الفئة قد حصلت على تشبع في الإجابة على الاختبارات (Anastasi, 1997). إذ ان أغلب الباحثين في دراستهم تكون عيناتهم مأخوذة من طلبة الجامعة وهذا ما يجعل الطالب الجامعي في تشبع من هذه الاختبارات فتكون إستجاباته عشوائية وغير حقيقية.

العوامل المؤثرة في صدق الاختبارات المكيفة (المنقولة ثقافياً):

هناك خمسة عوامل تقنية تؤثر في صدق الاختبارات المكيفة للاستخدام في لغات

وثقافات أخرى، وهي الإختبار نفسه، إختيار وتدريب المترجمين، عملية الترجمة، عملية التكيف، وفي الاخير طريقة جمع المعطيات لتثبيت التكافؤ:

1- الإختبار:

إذا كان الباحث يعرف أنه سيستخدم الإختبار في لغة وثقافة مختلفة، فعليه أن يضع في الحسبان تلك اللغة والثقافة في بداية عملية تطوير الإختبار، وإذا اخفق في ذلك فسينتج عن ذلك صعوبات في عملية التكيف التي تؤدي بدورها الى خفض صدق الإختبار المكيف. (Hambleton & Patsula, 1999)

إن إختيار شكل الإختبار من مواد محفزة له، (المفردات، تركيب الجمل، ونواحي أخرى والتي من الممكن ان تشكل صعوبة في عملية الترجمة الجيدة التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند إعداد مواصفات الإختبار. فعلى سبيل المثال البنود التي لا يوجد ما يماثلها في الثقافة التي ينقل اليها الإختبار فهذه البنود تحذف كالبنود الخاصة بالنقود لأن العملات تختلف من بلد إلى آخر، ومن غير ممكن إيجاد تكافؤ في ترجمتها لوضعها في الإختبار، كما هو الحال في الموضوعات الخاصة والمميزة لثقافات معينة مثل «كلمة الهوكي» فهي غير مألوفة في عدة ثقافات، ويمكن رفضها والاستعانة بمقاطع عن المشي في الحديقة أو نشاطات أخرى يمكن أن يكون لها معنى في ثقافات أخرى (Hambleton & All, 2005).

أما في معيار الشخصية فيجب أن يؤخذ الحذر في إختيار المواقف، المفردات، والتعبير التي لا يمكن تكيفها بسهولة عبر الثقافات مختلفة، فيمكن أن يكون بعض أنواع السلوك عاديا في العالم الغربي ولكن له معنى مغاير في ثقافات أخرى، فجملة « احب المحادثة في الحفلات» ليست لها معنى في ثقافة لا يكون فيها الحفلات أو حيث لا تذهب النساء إلى الحفلات أو حيث المبادرة بالحديث يمكن أن يكون تصرف غير مقبول (Hambleton & All, 2005).

2- إختيار وتدريب المترجمين:

إن أهمية الحصول على خدمات مترجمين مؤهلين واضحة، إذ أن عملية الترجمة لمترجم واحد تم إختياره لأنه كان من الممكن الوصول اليه أو شخصا يمكن ان نستخدمه بمبلغ بسيط لا يمكن أن يكون دليل على الترجمة الجيدة الناجحة، لذا فإن استخدام مترجم واحد سواء كان مؤهل او غير ذلك لا يسمح بالحصول على تفاعل ذي قيمة بين المترجمين المختلفين لايجاد الحلول لنقاط عديدة تنشأ عند القيام بعملية تكيف الإختبار، فقد يستعمل المترجم الواحد وجهة نظر في استخدام مفردات وتعبير مفضلة لديه قد لا تكون مناسبة لتحقيق تكيف جيد للإختبار، فهنا وجب استخدام العديد من المترجمين لحماية أخطار استخدام مترجم واحد مع تقضيلاته وخصوصيته اللغوية (Hambleton & All, 2005).

وفي نفس الوقت يجب أن يكون المترجمون أكثر من أشخاص مؤهلين ومتألفين مع اللغات المستخدمة في الترجمة، فيجب أن يكونوا على معرفة جيدة وبشكل خاص الثقافة التي يترجم إليها الاختبار، إن هذه المعرفة أساسية في فعالية التكيف، كذلك من الأفضل أن يكونوا على معرفة بالموضوعات التي يتناولها الاختبار، إذ أن الدقة والفروق في المعنى ستخفي عن المترجم ليس له معرفة بذلك الموضوع عدة معاني مهمة، فغالبا ما يلجأ المترجمون إلى الترجمة الحرفية عندما يجهلون المعنى المخفي للموضوع، وهذا ما يجعل صعوبات لدى المفحوصين الذين يجرون الاختبار، وبالتالي تهدد صدق الاختبار المكيف، فمثلا جملة «je ne sui pas une valise» في الفرنسية لها ترجمة حرفية في اللغة الانجليزية، وهي «أنا لست حقيبة» ولكن المعنى الحقيقي لتلك الجملة في اللغة الفرنسية هو «لست غيبيا إلى هذا الحد» فهنا الترجمة الحرفية من الفرنسية إلى الانجليزية قد شوه المعنى بالكامل (Hambleton & All, 2005).

3- عملية الترجمة:

قد تهدد اللهجات في لغة ما صدق تكيف الاختبار، أي أن اللهجة هي الأهم أو هي الهدف المستخدم في التكيف الذي يمكن تطبيقه داخل اللغة الواحدة، فهذه النقطة يجب الانتباه لها قبل البدء في عملية التكيف، ويجب تنبيه المترجمين لها، كما ان احصاء تكرار الكلمات قد يكون قيما في الحصول على ترجمة إختبار صالح، ومن الاحسن ترجمة الكلمات والتعبير المكونة من عدة كلمات بذات التواتر في اللغتين وذلك للسيطرة على الصعوبات عبر اللغات، إن المشكلة أن لوائح تواتر الكلمات والتعبير ليست متوفرة دائما وهذا سبب آخر لتفضيل المترجمين الذين لهم إطلاع على كلتا الثقافتين المصدرة والمستهدفة وليس معرفة اللغتين فقط.

تستعمل اللامركزية في بعض الاحيان في تكيف الاختبارات النفسية، فمن الممكن أن لا يكون لبعض الكلمات أو التعبير مرادف في لغة المستهدفة، حتى أنه من الممكن أن لا توجد تلك الكلمات أو التعبير في تلك اللغة. إن عملية اللامركزية تتضمن مراجعة اللغة الأصلية المترجم منها الاختبار، وبذلك يتم استخدام أساس لغوي مترادف في لغة النسختين المصدر والمستهدفة، أن اللامركزية ممكنة عندما يكون الاختبار الاصلي في مرحلة التحضير في ذات الوقت الذي يتم فيه إنجاز نسخة اللغة المستهدفة، وهذا يكون موجود عند إعداد إختبارات التقويم العالمية، وبعض الاختبارات المعتمدة في العالم (Hambleton & All, 2005).

4- خطط الحكم النقدي لتكيف الاختبارات:

إن الخطتين المفضلتين في الترجمة هما الترجمة المبكرة والترجمة الراجعة، إذ أن خطة الترجمة المبكرة هي أن المترجم واحدة أو من الأفضل عدة مترجمين يقومون

بتكليف الإختبار من لغة المصدر إلى اللغة المستهدفة، عندئذ يجري الحكم على تعادل النسختين المترجمتين من الإختبار من قبل مجموعة ثانية من المترجمين، كما يمكن إجراء مراجعة على نسخة الإختبار المترجمة في اللغة المستهدفة لتصحيح بعض الأخطاء التي وجدها الفريق الثاني من المترجمين، في بعض الأحيان وكخطوة أخيرة يقوم شخص ثالث ليس بضرورة أن يكون مترجماً بتحرير الإختبار بجعل اللغة أكثر سلاسة لأنه في بعض الأحيان يحصل تفكك في اللغة أثناء الترجمة، التي يقوم بها عدة مترجمين أو مجموعات لنسخة الواحدة.

إن الميزة الأساسية لخطة الترجمة المبكرة هو أن الحكم يصدر مباشرة على النسخة الأصلية من الإختبار والنسخة المترجمة، إن صدق الحكم على تكافؤ النسختين يعزز بوجود مجموعة صغيرة من الممتحنين ليزودوا المترجمين بملاحظاتهم عن الإختبار والارشادات، المحتوى أو الشكل العام (Hambleton & All, 2005).

أما نقطة الضعف في الترجمة المبكرة فهي مرتبطة مع المستوى العالي من الأستنتاجات التي يقوم بها المترجمون عن التكافؤ بين نسختي الإختبار وهذا النوع من الترجمة يتميز بنقاط الضعف التالية:

- قد يكون لدى المترجم مهارة في إحدى اللغات أكثر من الأخرى
- إن الحكم على تكافؤ الإختبار يقوم به أشخاص ثنائيو اللغة وبهذا يمكن أن تكون نظرهم التخمينية متركزة على معرفتهم لكلتا اللغتين
- إن المترجمين قد يكونوا متعلمين أكثر من الأفراد ذوي اللغة الواحدة الذين يتقدمون لإجراء الإختبار وبذلك يخفق المترجمون في ادراك بعض الصعوبات التي تواجه الممتحنين
- إن الأشخاص الذين يطورون الإختبار ليسوا في موقع يستطيعون به أن يصدروا أحكاماً عليه بأنفسهم

إن خطة الترجمة الراجعة هي المعروفة و الأكثر شيوعاً في حفظ الحكم النقدي للإختبارات، حيث يقوم واحد أو أكثر من المترجمين بترجمة الإختبار من اللغة الأصلية إلى اللغة المستهدفة، ثم يقوم مترجمون مختلفون بترجمة الإختبار إلى اللغة الأصلية، ويجري مقارنة النسختين الأصلية والمعاداة المترجمة، ويجري الموافقة على التكافؤ بينهما، إن خطة الترجمة الراجعة يمكن استخدامها لإختبار نوعية الترجمة والكشف عن بعض المشكلات التي ترافق عملية الترجمة المبكرة، حيث يفضل الباحثون تلك الطريقة بشكل خاص لأنها تزودهم بفرصة للحكم على النسختين المترجمة والأصلية للإختبار وبذلك يستطيعون تكوين رأيهم الشخصي عن عملية الترجمة ومدى صلاحيتها، وهذا ليس ممكناً في الترجمة المبكرة، إلا إذا كانت لهم مهارة في اللغتين (Hambleton & All, 2005).

بالرغم أن الترجمة الراجعة لديها فضائلها وتستطيع تعيين المشكلات في عملية التكيف، لكن نادرا ما نستطيع توفير دليل كافي لدعم صدق استخدام الإختبار المكيف. إن الدليل على تكافؤ الإختبار الذي توفره خطة الترجمة الراجعة هو واحد فقط من عدة أنواع من الأدلة التي يجري تصنيفها في دراسة تكيف الإختبارات النفسية، وهو أن المقارنة بين نسختين من الإختبار في لغتين أو أكثر تجري في اللغة الأصلية فقط، فمن الممكن أن يكون تكيف الإختبار غير جيد بالرغم من أن دليل مقارنة الإختبار الأصلي والإختبار الترجمة الراجعة يدل على غير ذلك، فقد يحدث ذلك إذا استعمل المترجمون نفس القواعد في التأكد من أن الإختبار المترجم مشابه للإختبار الأصلي، كما أن هناك نقطة ضعف أخرى هي أن كون التكيف الضعيف يعود إلى احتفاظه بأوجه غير مناسبة من الإختبار الأصلي مثل بنية القواعد الواحدة والتهجئة، وقد تسهل تلك الأخطاء عملية الترجمة الراجعة، فهذه الخطة من الترجمة قد تخفي نقاط ضعف مهمة في نسخة الإختبار في اللغة المستهدفة فعلى سبيل المثال من الممكن الاحتفاظ بكلمة «Icehocky» «هي نوع من الرياضة» عند ترجمة الإختبار من اللغة الانجليزية إلى اللغة الاسبانية، وعندئذ يكون من السهل القيام بالترجمة الراجعة، ولسوء الحظ يمكن أن تكون هذه الرياضة لا معنى لها لكثير من الأشخاص في البيئة الاسبانية ولكن هذا الضعف غير موجود في عملية الترجمة لدينا لأنه من غير ممكن الاحتفاظ بنفس الكلمة مهما كانت لأن اللغة العربية لا تتشابه مع اللغات الأخرى ولا يمكن الاحتفاظ بأي كلمة وهذا يحدث فقط في اللغات المتشابهة مثل الفرنسية الاسبانية والانجليزية (Hambleton & All, 2005).

5- مخططات جمع المعطيات وتحليلها لأقامة تكافؤ البنود والإختبار:

هناك ثلاث خطط شائعة الاستعمال في جمع المعطيات لتقويم التكافؤ في بنية الإختبار وبنوده في لغات مختلفة، وفيما يلي تقويم تلك الخطط:

أ- الطريقة الاولى:

يجري الطلاب للإختبار في اللغتين الأصلية والمستهدفة، فالميزة من هذه الخطة أنه يمكن ضبط الإختلاف الموجود في النسختين بحيث يمكن جمع البنود التي يختلف فيها الطلاب وذلك من أجل اقرار التكافؤ، وهنا يكون افتراض أن الطلبة مزدوجي اللغة لديهم مهارة متساوية في كلتا اللغتين، وهذا لا يحدث مع المجموعات الكبيرة من الطلبة (Cziko, 1987). إن المشكلة في خطة جمع المعطيات هي ان النتائج التي تم الحصول عليها لا يمكن تعميمها على طلبة احادي اللغة لأن مجموعة مزدوجي اللغة مختلفين في عدة طرق عن نظائرهم من طلبة احادي اللغة.

حيث أظهرت النتائج في احدى الدراسات التي قام بها Hulin, Drasgow & Komocar, (1987) في الدليل الوصفي الوظيفي، حيث اكتشف هؤلاء الباحثين أن

04% من البنود في مقياس المواقف تم تصنيفها على أن ترجمتها سيئة في أحد نماذج للطلاب ثنائي اللغة، في حين تم تصنيف 30% من البنود أن ترجمتها سيئة عندما استخدمها طلاب ذوي اللغة الواحدة.

هناك خطة مختلفة عن الخطة ثنائية اللغة، لكنها أسهل في التطبيق وتتضمن هذه الأخيرة طلاباً مزدوجي اللغة تم إختيارهم عشوائياً لأخذ أحد الإختبارات وهنا تظهر نجاح عملية التكافؤ وفعاليتها.

ب- الطريقة الثانية:

وتتضمن هذه الطريقة أخذ طلاب ذوي اللغة الواحدة الإختبارين، الإختبار الأصلي والإختبار المترجم ترجمة راجعة، ويتم التعرف على تكافؤ البنود بمقارنة أداء المشاركين في كل من الإختبارين في كل بند، ويمكن استخدام التحليل العاملي على معطيات المجموعة من كل إختبار ومقارنة بناء تلك العوامل، إن ميزة هذه الطريقة هي أنه باستخدام نموذج واحد من المشاركين فلا يكون هناك خلط في النتائج بسبب إختلاف صفات الطلاب (Hambleton & Bollwark, 1991)

هناك عيبان رئيسيان يضعفان عملية استخدام طريقة جمع المعطيات وهما:

- 1- لا تجمع معطيات تجريبية عن إختبار اللغة المستهدفة بمعنى أنه لا يستخدم طلاب ذوي اللغة الواحدة في اللغة المستهدفة مع أن الهدف من البحث هو تطبيق النتائج على نسخة الإختبار باللغة المستهدفة وعلى طلاب اللغة المستهدفة ذوي اللغة الواحدة
- 2- لا تكون النتائج المتحصل عليها مستقلة لأنه لا يمكن استبعاد نتائج التعليم من الإشراف على الإختبار الأول في لغة المصدر الأصلية ولا تأثير التعليم على أداء الطلاب في إختبار الترجمة الراجعة، وهنا يجب الموازنة بين الخطتان المذكورة أعفاً من أجل التقليل من تأثيرها في صدق الإختبار المكيف (Hambleton & All, 2005).

ج- الطريقة الثالثة:

في هذه الطريقة يأخذ طلاب لغة المصدر أحادي اللغة إختبار في لغة المصدر، ويأخذ طلاب اللغة المستهدفة أحادي اللغة الإختبار في اللغة المستهدفة، وعادة في هذه الطريقة لا يمكن الاحتفاظ بإفترض تساوي توزيع الامكانيات بين المجموعتين، ولا توجد ضرورة لهذا الافتراض في حالة استخدام نظرية الاستجابة للمفردة (Van de Vijver, 2000). أو إذا جرى القيام بالتحليلات حسب دراسات التكافؤ في عملية التحليل فهذا واجب تحقيق هذا الافتراض (Hambleton & Wainer, 1993). إن ميزة هذه الطريقة هي أن مجموعة المصدر والمجموعة المستهدفة تستعمل كلاهما في عملية التحليل وبذلك تكون نتائج تكافؤ الإختبار في اللغتين موجودة في تلك المجموعات.

الشروط الواجب مراعاتها من طرف الباحثين في عملية التكيف:

إن عملية تطوير وتكيف الإختبارات النفسية تبدو عملية معقدة الى درجة معينة نظرا الى الإختلافات الثقافية واللغوية بالنسبة الى المجموعات المقصودة أو المستهدفة وما يقابلها في المجموعات الأصلية في عملية التكيف والتطوير وهنا وجب على مطوري الإختبارات النفسية وتكييفها اتباع التعليمات التالية كما جاءت موجودة في دليل الهيئة الدولية للإختبار -ITC- لتكيف الإختبارات النفسية:

1- بالنسبة الى تطوير الإختبار وتكييفه فيجب اتباع التعليمات التالية:

يجب على المطورين والناشرين:

- التأكد من أن عملية التكيف تأخذ بعين الإعتبار الإختلافات اللغوية الثقافية للمجموعات المقصودة.
 - اقامة الأدلة بان اللغة المستخدمة في تعليمات الإختبار، ارشادات الدرجات، البنود، مناسبة للغة وثقافة جميع المجموعات التي ستقوم بالإختبار.
 - اقامة دليل على أن إختيار أسلوب الإختبار، هيكله البنود، قواعد الإختبار مألوفة للمجموعة المقصودة.
 - اقامة دليل على أن محتوى البنود والمواد المنبهة في الإختبار مألوفة بالنسبة الى المجموعة التي ستقوم بالإختبار.
 - جمع دليل النقد المعرفي، لغوي، نفسي، لتحسين دقة عملية التطوير وجمع دليل على تكافؤ كل النسخ في ثقافات مختلفة.
 - التأكد من أن خطة جمع المعطيات تسمح بإستخدام أساليب إحصائية مناسبة لإقامة تكافؤ البند والبنية والمنهج وفي نسخ الإختبار في لغات مختلفة.
 - استخدام أساليب إحصائية مناسبة لكي يستطيعوا إقامة التكافؤ في لغة النسخ للإختبار.
 - التعرف على العناصر التي يمكن أن تحدث مشكلات أو تكون غير مناسبة لإحدى المجموعات المشاركة.
 - توفير معلومات عن صدق الإختبار المكيف للمجموعة المقصودة.
 - توفير دليل إحصائي عن تكافؤ البنود لكل المجموعات المقصودة.
 - عدم ربط بنود الإختبار المكيف غير المتكافؤ للمجموعة المقصودة مع الدرجات العامة للإختبار. على كل حال يمكن أن تكون تلك البنود مفيدة لإعطاء تقرير عن الدرجات كل مجموعة على حدة. (Hambleton & All, 2005).
- ### 2- بالنسبة الى الإدارة فيجب اتباع التعليمات التالية:
- يجب على المطورين والناشرين:

- توفير بيئة والتي تؤثر في إدارة الإختبار متشابهة الى أقصى حد عبر المجموعات التي

تجري الاختبار.

- محاولة توقع المشكلات التي يمكن حدوثها وإتخاذ جميع الاجراءات المناسبة لمعالجة هذه المشكلات، وذلك بإعداد مواد وإرشادات مناسبة للمطابقين للاختبار.
- أن يدركوا العناصر المتعلقة المواد المحفزة، الاجراءات الادارية وطرق الاستجابة التي قد تخفض من صدق الاستنتاجات التي تم الحصول عليها من الدرجات.
- يجب أن تكون لغة إرشادات الإداريين في اللغة المستهدفة هي نفسها في اللغة الاصلية وتكون مقللة من المتغيرات غير المرغوب بها عبر المجموعات.
- يجب أن يعطي دليل الاختبار وصفا دقيقا لكل أوجه الاختبار وطريقة إدارته التي تتطلب الدقة في تطبيق الاختبار في محيط ثقافي جديد.
- يجب أن لا يكون الاداريون (المطابقين للاختبار) فضوليين، ويجب أن تكون العلاقة بين الاداريين والذين يجرون الاختبار قليلة الى أدنى حد، ويجب إتباع القواعد الواضحة التي جرى وصفها في دليل الاختبار (Hambleton & All, 2005).

3- بالنسبة الى التوثيق/ تفسير النتائج فيجب اتباع التعليمات التالية:

يجب على المطورين والناشرين:

- عند تكييفهم للاختبار للاستخدام في ثقافة اخرى توثيق التغيرات مع الدليل الذي يدعم تكافؤ النسخة المكيفة للاختبار.
- توفير معلومات محددة عن الطرق التي يمكن أن تؤثر فيها المفاهيم الاجتماعية/ الثقافية والبيئية للمجموعات على أداء الإختبار، كما يجب إقتراح إجراءات لتحليل تلك التأثيرات في تفسير النتائج.
- إقامة المقارنات عبر المجموعات فقط على مستوى الثوابت التي أقيمت للاختبار الذي تنتقله الدرجات.
- أن لا يأخذوا اختلاف الدرجات لنماذج المجموعات التي قامت بالاختبار كقيمة ظاهرة. على الباحث مسؤولية إقامة دليل على معنى الاختلافات من الأدلة التجريبية (Hambleton & All, 2005).

الإنحيازات الموجودة في الإختبارات المنقولة ثقافيا:

قبل البدء في شرح عملية الإنحياز التي تحدث في الإختبار في اللغة المستهدفة يجب التمييز بين مصطلحين نراهم أكثر أهمية في هذا العنصر وهما الإنحياز والتكافؤ، بحيث يختلف معناهما في الادبيات، إذ تتضمن كلمة الإنحياز وجود عوامل مزعجة، يقال عن القياس أنه منحاز إذا اختلفت الدرجات المسجلة في احدى الإختبارات من لغة إلى أخرى بسبب وجود تباين غير مرغوب فيه، ومثال على ذلك إذا أخذنا الترجمة السويدية – الانجليزية في بند التالي « أين يحتمل أن تعيش الطيور ذات وترات في أرجلها» فإن الترجمة الراجعة من السويدية إلى الانجليزية لعبارة « طير ذو وترات في أرجله» هي

الطير ذو الارجل السباحة، وهذا يعطي إشارة لمعرفة الإجابة ويكون هناك تفوق انجليزي في الإجابة الصحيحة عن نظائهم في السويد، وهناك مثال آخر في عمليات المسح الذي يتناول القيم في أوروبا، كانت الدرجات للاخلاص والوفاء في اسبانيا مختلفة عن مجمل النتائج المسجلة في تلك الدولة، وبعد التدقيق في الأمر تبين أن كلمة الوفاء التي استعملت في الترجمة إلى الاسبانية تتضمن معنى الاخلاص الزوجي. أما مصطلح التكافؤ فيرتبط ذهنيًا بقياس أوجه الاختلاف بين الأعراف وما ينتج عن ذلك يسمى إنحياز، أي أن البنود ستعطي درجات غير متكافئة (Hambleton & All, 2005).

لقد أصبح عادة التكافؤ كمؤشر يشير إلى عدم إمكانية المقارنة بين الدرجات، وعملاً بهذا العرف فإننا نستعمل عدم التكافؤ كصفة مميزة لدرجات الاختبار التي تأثرت بفعل الإنحياز الثقافي، وفي نفس الوقت لا يمكن اعتبار الإنحياز كصفة جوهرية للاختبار، وإنما هي نتيجة لتطبيق هذا الاختبار على مجموعة معينة من أجل الوصول إلى هدف محدد، ويشير الإنحياز إلى جميع أنواع العوامل المزعجة التي تعيق تفسير اختلاف الدرجات بين مجموعة وأخرى، ويفهم الإنحياز بشكل أفضل من خلال القابلية للتعميم.

يمكن تعريف الإنحياز على أنه توافق غير متوازن في ميدان الملاحظة ودعائم التعميم، ومثال على ذلك لنفترض أننا طبقنا اختبار الإمتداد الزمني (اختبار يقيس اتساع الذاكرة قصيرة المدى) على اطفال امريكيين وأطفال ريفيين من إفريقيا، لم يحصلوا على تعليم جيد في المدرسة، ونجد أن الاطفال الامريكيين قد حصلوا على درجة أفضل، فإذا فسرت النتائج على اساس عدد الارقام الذي يستطيع الفريقين الاحتفاظ بها في ذاكرتهم لمدة قصيرة فهنا يمكن القول أن الاختبار غير منحاز، ولكن عند تفسير النتائج بناءً على الإمتداد الرقمي كدليل على قدرات الذاكرة قصيرة المدى وهو التفسير الشائع لدرجات هذا الاختبار فيصبح في هذه الحالة الاختبار منحاز، حيث أن هناك اثبات في علم النفس الشامل للثقافات أن اتساع الذاكرة قصيرة المدى يختلف باختلاف الثقافات والاعراف (Wagner, 1981). كما أن اختلاف الحافز بين الثقافات له تأثير شامل على الدرجات في كثير من الاختبارات. إن الاختلافات التي ظهرت في اختبار الإمتداد الرقمي قد لا تظهر في اختبارات تستخدم فيها الحوافز (Hambleton & All, 2005).

أنواع الإنحياز:

على الرغم من أن الإنحياز قد ينشأ من عدة مصادر، فمن الضروري التمييز بين عدة فئات من الإنحياز فكثيراً ما تؤدي عدة مصادر مختلفة إلى أنواع متماثلة من الإنحياز، وفي اعتقادنا يوجد ثلاث أنواع للإنحياز هي: إنحياز البند، إنحياز البنية وإنحياز المنهج هذه الأخيرة تعتبر الإنحيازات الأساسية مع وجود بعض الإنحيازات الأخرى البسيطة (Van de Vijver & Tanzer, 1997) والجدول الموالي يوضح نوع الإنحياز ووصفه:

جدول رقم (01) يبين أنواع الإنحيازات الممكن الوقوع فيها عند تكيف الإختبارت النفسية

نمط الإنحياز	الوصف
إنحياز البند	تداخل غير تام لدى الفئات الثقافية
إنحياز البنية	ترجمة سيئة للبند، تأثر الإجابة على البند بالعامل الثقافي
إنحياز المنهج	مصطلح عام يشمل جميع عوامل الخلل الناتج عن أحد جوانب المنهج
إنحياز الأداة	أشكال الأداة التي تسبب إختلاف في الدرجة والتي لا علاقة لها بالبنية
إنحياز اداري	قصور التواصل بين منفذي الإختبار والخاضعين له
إنحياز الموضوع	اضطراب نص الموضوع مثل الترجمة السيئة

1- إنحياز البنية:

يقصد بهذا الشكل من الإنحياز التباين الموجود في البنيات الثقافية بين مجموعات مختلفة، مثل العوامل التي تشكل البنية (السلوك، المواقف، القواعد السلوكية) والتي تكون غير متطابقة بين مجموعات مختلفة. إن أنصار نسبية المواقف (Sinha(1997) والسيكولوجيات الثقافية (Kole (1996), Greenfield & (1997) Miller) يميلون الى الاعتقاد أن إنحياز البنية هو قاعدة وليس استثناء في السيكولوجيا الثقافات والجدول الموالي يبين مصادر الإنحياز في البنية:

جدول رقم (02) يبين مصادر الإنحياز في البنية

الإنحياز	مصادر الإنحياز
إنحياز البنية	عدم التماثل في تعريف البنية عبر الثقافات
	تفاوت ملائمة السلوك المرافق للبنية مثل المهارات عبر ثقافات مختلفة

من أمثلة على إنحياز البنية مفهوم الذكاء، حيث تميل معظم إختبارات الذكاء الى استخدام تعريف ضمني للذكاء يتألف من المحاكمة والتفكير المنطقي (كما هو الحال في إختبارات رافن) وبدرجة أقل من المعارف المكتسبة والذاكرة (كما هو الحال في سلم فكلسر للذكاء عند الاطفال وعند البالغين) (Sternberg, Conway, Keton & Bernstein, 1981). إلا أن الدراسات في الاوساط غير الغربية بينت أن المفهوم الشائع للذكاء أوسع من ذلك ويتضمن بعض المظاهر الاجتماعية، مثل ما قالته أمهات كوكوه في كينيا، على أن الطفل الذي يعرف مكانه في العائلة والسلوك الذي يقوم به هو الذي يتوقع منه مثلاً اتباع الطرق المناسبة في مخاطبة الآخرين، وأن الطفل الذكي هو الطفل المطيع الذي لا يسبب مشاكل (مندي كاستل، 1974).

لقد بينت كذلك دراسات أخرى مماثلة (Serpell(1993 في زمبيا (1987) Azuma Kashiwagi & في اليابان أن صفات الشخص الذكي تتجاوز ميدان المدرسة الذي يعتمد عادة في الوم.أ وأوروبا، ومثال آخر على إختلاف في مضمون الذكاء يمكن أن يشاهد في أعمال (Ho(1996 حول طاعة الوالدين في الصين وقد بين أنه بالمقارنة مع الغرب يميل الصينيون الى تطبيق تعريف أوسع للذكاء، وأن الطاعة والاحترام للوالدين هي عناصر موجودة أيضا في الغرب، إلا أن المفهوم الصيني لإحترام الوالدين يشمل أيضا العناية المادية بالوالدين عندما يتقدمان في السن ويحتاجان الى مساعدة.

إن مشكلة إختيار العينات بشكل سيئ يضاعف أيضا في الوقوع في هذا النوع من الإنحياز في غالب الاحيان، وقد شكّا (Triandis (1978 قبل عدة سنوات من ان قياساتنا تتناول عينات قليلة من اهتمام البشر ويقود هذا ما يدعوه (Embretson(1983 بنقص تمثيل البنية، إذ يتم إختيار عدد قليل من الموضوعات متجانسة ويدعى أنها تغطي بنيات واسعة، وعلى الرغم من أن هذه القضية ليست خاصة بميدان السيكلوجيا عبر الثقافات، إلا أنها تبرز في هذا المجال بشكل خاص، وعندما تبدي مقارنة المجموعات الثقافية إختلافات واسعة، فإن القياسات الضيقة تبدى على الأرجح إنحيازاً يعود الى محدودية تمثيل البنية (Hambleton & All, 2005).

2- إنحياز المنهج:

هو مصطلح عام لنوع ثان من الإنحياز الذي يتضمن كل التحولات المزعجة الناتجة عن عوامل خاصة بالمنهج وقد ابتكر هذا المصطلح لأن هذه العوامل تذكر عادة في القسم الخاص بالمنهج في الدراسات التجريبية (الإمبريقية).

الجدول الموالي يبين مصادر الإنحياز في المنهج:

جدول رقم (03) يبين مصادر الإنحياز في المنهج.

الإنحياز	مصادر الإنحياز
إنحياز المنهج	عدم إمكانية مقارنة العينات (يحدث بسبب الإختلافات في التعليم والدوافع
	تفاوت الالفة مع المواد المنبهة واجراءات الاستجابة
	تفاوت طرق الاستجابة (الرغبات الاجتماعية، الدرجات القصوى، القبول)
	تفاوت الظروف المحيطة بإجراء الإختبار (فيزيقية، اجتماعية)

هناك نوعان من إنحياز المنهج هما إنحياز الأداة والإنحياز الإداري

أ- إنحياز الأداة:

يتضمن هذا النوع من الإنحياز خصائص الأداة التي لا علاقة لها بهدف الدراسة، إلا أنها مع ذلك تسبب إختلافات في درجات الإختبار. إن السبب الأكثر شيوعاً لإنحياز

الأداة في الإختبارات الذهنية وهذا ما يعرف بتألف الأشخاص مع المنبهات والاستجابات (شكل الإجابة) ويمكن توضيح ذلك في دراسة (Serpell 1979) حيث اهتم هذا الباحث بالمهارات الإدراكية/ الحسية عند الاطفال البريطانيين والزامبيين، وقد طلب منهم استنساخ صور اشخاص باستخدام الورق وقلم الرصاص، والاسلاك المعدنية (التي هي شائعة في زمبيا). فكما هو متوقع تفوق الاطفال البريطانيين في الرسوم المعمولة بالورق وقلم الرصاصن بينما حصل الزامبيون على درجات أعلى بشكل واضح في الرسوم المعمولة بالأسلاك المعدنية، في حين لم نسجل أي إختلاف باستعمال ادوات ووسائل غير معروفة في كلا البلدين، والتفسير هنا يعود بالدرجة الأولى الى الألفة للأداة أو التألف مع الإجابة (Hambleton & All, 2005).

كما يمكن أيضا في الإختبارات الخاصة بالشخصية والمواقف أن تظهر فيها إنحياز الأداة وهذا ما تثبته دراسة (Hiu & Triandis 1989) من أن المكسيكيين كثيرا ما يحصلون على درجات مفرطة بالمقارنة مع الامريكيين من أصل أوروبي عند إستعمال سلم مؤلف من (05) نقاط ولا يشاهد هذا الإنحياز عند استعمال سلم مكون من (02) نقطة، وفي هذا الصدد تؤكد (Anastasi 1997) على أنه في إختبارات الشخصية والميول لا يصلح سلم تنقيط مؤلف من (02) نقطة مع الفرد غير الغربي وإستدلت على ذلك بإستجابة فليبيني عند تقدمه لإختبار الشخصية MMPI ففي إحدى البنود كانت إجابته أنه لا يصلح معه لا «نعم» وايضا «لا».

ب- الإنحياز الإداري:

ويقصد بهذا النوع من الإنحياز إختلاف الدرجات الناجم عن التعليمات وغير ذلك من مشكلات التواصل بين الفاحصين والمفحوصين، وتحدث هذه المشكلات بشكل خاص عندما يستخدم الفاحصون لغة غير لغتهم الأم فقد يكون فقدان المعلومات اللازمة ناتج عن عدم القدرة على التعبير عن الافكار بلغة ثانية (Gass & Varonis, 1991). كما أن عدم معرفة ثقافة المفحوصين قد يؤدي الى انتهاك القواعد المحلية للمجاملة.

عالج المختصون في علم النفس والباحثون في الثقافة تأثير مميزات الشخص الذي يقوم بتطبيق الإختبار (كالجنس، العمر، العرق) على نتائج القياس. ويذكر (2005) Hambleton في مراجعته للدراسات السيكلوجية الخاصة بجنس مختبر على أداء الأطفال في إختبارات أن (Jensen 1980) استنتج أن الدراسات المناسبة قليلة فلا توجد دراسات تعالج قضية عرق مفحوص/فاحص مع ذلك فإن البيانات المتوفرة لا تشير الى أن عرق المختبر ولا جنسه ذو أهمية كبيرة، كما درس الباحثون في الثقافات ما يدعى بنظرية الازدعان (الاحترام)، فقد وجد (Cotter, Cohen & Coulter, 1982) أن الاشخاص أكثر ميلا لإبداء مواقف ايجابية ذات ثقافة معينة عندما تجرى مقابلتهم من قبل أفراد تلك

الجماعة. ومع ذلك فإن أهمية التأثيرات العائدة لصفات الباحث الذي يجري المقابلة تبدو متضاربة في مختلف الدراسات (Senger & Presser, 1989).

وفي الأخير يمكن الإشارة أن إنحياز المنهج يمكن أن يحدث في إختلاف درجات المجموعة الواحدة وليس بين المجموعات فقط، وأن هذا الإختلاف ليس له علاقة بالبنية وإنما يعود الى خطأ في القياس.

ت- إنحياز البند (إختلاف عمل البند):

يقصد بهذا النوع من الإنحياز بالأخطار التي تؤثر في صحة البنود فقط، في حين يتناول إنحياز البنية وإنحياز المنهج المظاهر العامة للإختبار، وجد مصطلح إنحياز البند أول مرة لدى (Cleary & Hilton, 1968). وبعد أكثر من ثلاثة عقود من التطور المهم في القياسات النفسية لأكتشاف الموضوعات غير السوية، وبعد ذلك استبدل هذا المصطلح بإختلاف عمل البند، إلا أنه تم التمسك بمصطلح الأصلي والذي يشير الى التحيز لأنه يؤكد على العلاقة الوثيقة بين الأنماط الأخرى من الإنحياز ويقصد به تهديد لصحة البند وتشويه معناه من ثقافة الى أخرى ويمنع المقارنة المباشرة للدرجات البند بين عدة ثقافات (Hambleton & All, 2005). والجدول الموالي يبين مصادر الإنحياز في المنهج:

جدول رقم (04) يبين مصادر الإنحياز في البند.

الإنحياز	مصادر الإنحياز
إنحياز البند	ترجمة سيئة للبند / بنود غامضة وغير مفهومة
	عوامل سيئة ذات علاقة بالبند

إن أهم أسباب إنحياز البند هو الترجمة السيئة وإختلاف المعاني الضمنية للكلمات ومثال على ذلك وإستنادا الى قاموس "وبستر الأمريكي" فإن العدوانية تتجلى على شكل تصميم واضح واستعداد للخصام، بينما قاموس "أوكسفورد البريطاني" فيعطي المعنى الأول للعدوانية بأنها عمل أو ممارسة الهجوم دون تربص وبشكل خاص البدء بالحرب أو النزاع، ويأتي المعنى السابق في القاموس الأمريكي في المرتبة الثالثة، ومن المهم الإشارة أن مفهوم العدوانية في اللغات الأخرى كالألمانية والفرنسية والهولندية وغيرهم من اللغات هي أقرب في معناها الى التعريف البريطاني (Hambleton & All, 2005).

لتحليل إنحياز البند نقوم بتقسيم مجموعتين من ثقافتين مختلفتين بناء على درجة اجابتهن على الإختبار في عدة مجموعات فمثلا بالنسبة الى الثقافة الاولى نضع في المجموعة (1) جميع الافراد الذين حصلوا على الدرجة (10) وفي المجموعة (2) جميع الافراد الذين حصلوا على الدرجة (12) وهكذا بالنسبة لكامل الدرجات وبنفس الطريقة مع مجموعة الثقافة الثانية، وتسمى هذه العملية بطريقة التكيف الشرطي) ثم نقوم بمقارنة بين الثقافتين

بالنسبة الى الافراد الذين لهم درجات متماثلة وننظر الى إجاباتهم بالنسبة الى البند الذي نتأكد من إنحيازهم، وبصورة أدق يمكن القول أن البند منحاز إذا كان الاشخاص الذين لديهم المستوى نفسه في الدرجة الكلية بالنسبة الى الإختبار ولم يحصلوا على نفس الدرجة المتوقعة منهم في الاجابة على البند. (Holland & Thayer, 2000)

وفي الاخير نشير الى أن هناك نوعين من إنحياز البند، هما الإنحياز المتسق والإنحياز غير المتسق، إذ يصف (Mellenbergh, 1982) الفرق بينهما، في أن البند المنحاز بشكل متسق إذا كان الإختلاف في مستوى الأداء ثابتا في جميع المستويات تقريبا وهو يقصد بذلك أنه في كل مجموعة من الدرجات يكون أداء افراد الثقافة الاولى أفضل من أداء افراد الثقافة الثانية بنفس المقدار، اما الإنحياز غير المتسق إذا كان حجم الفارق يختلف بشكل مضطرب بين المجموعات (مجموعات الدرجات)، ومثال على ذلك يشير (1998) Clauser & Mazor أن عدد الامريكيين الذين يعرفون اسم رئيسهم أقل من عدد الهولنديين الذين يعرفون اسم الملكة في بلادهم، إلا أن هذا الفرق يتضاءل تدريجيا عند المجموعات ذات الدرجات الأولى.

ث- إنحياز العينة:

يتمثل هذا النمط من الإنحياز في عدم القدرة في المقارنة بين العينات في ثقافات مختلفة، وهذا يتعلق بتباين العينات في قدرتها على تمثيل ثقافة السكان الذي تؤخذ منهم العينات. فكثير من الدراسات تم أخذ العينات من طلاب الجامعات إلا أن الدخول الى الجامعات في بعض البلدان يعتمد بالدرجة الاولى على الاداء الدراسي، في حين يكون الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأهل في بلدان أخرى هو المقياس للدخول الى الجامعة، وهنا تظهر إختلافات في نظام العينات فيما يتعلق بمواصفات الخلفيات مما يعطل أي تباين يلاحظ في الدرجات، بالإضافة الى الصفات الثقافية للمجموعة المعنية. إن أحد الشواهد الموثقة في الدراسات عبر الثقافات تتعلق بالنتائج المعرفية للأمية، ففي كثير من الدراسات في هذا الخصوص يقارن بين الأميين وغير الأميين بناءا على المنتسبين الى المدرسة وغير منتسبين الى المدرسة، لان الإنتساب الى المدرسة والتعلم يعني معرفة القراءة والكتابة، ولكن في دراسة التي أجراها كل من (Scribner & Cole, 1981) في ليبيريا ودراسة (Bennett, 1991) في كندا، وجدوا أن القراءة والكتابة تكتسب عن طريق التعلم غير الرسمي (خارج المدرسة)، ومن الجدير بالاهتمام أن كلا الدراستين توصلتا الى أن النتائج المعرفية لعدم التعليم المدرسي كانت ضئيلة (Hambleton & All, 2005).

مستويات التكافؤ في درجات الإختبارات المكيفة (المنقولة ثقافيا):

إن عملية الإنحياز هي عدم القدرة على مقارنة الدرجات التي يتم الحصول عليها في المجموعات المختلفة، فمن الناحية التقنية تكافؤ الدرجات هو الذي يحدد الإنحياز، ولكي

تحدد نتائج الإنحياز عند مقارنة الدرجات يتبين لنا أربعة أنماط من التكافؤ مرتبة بحسب صلاحيتها للمقارنة الثنائية (Van de Vijver & Leung, 2000). والجدول الموالي يوضح نوع التكافؤ وصفه:

جدول رقم (05) يبين أنواع التكافؤ في تكييف الاختبارات النفسية

نمط التكافؤ	الوصف
تكافؤ البنية	تقيس الأداة بنية واحدة في ثقافتين مختلفتين
تكافؤ البناء/ الوظيفي	تقيس الأداة بناء سيكولوجي واحد عبر مجموعات ثقافية مختلفة
تكافؤ وحدة القياس	تشتمل الاداة على وحدة قياس واحدة وأصل مختلف عبر ثقافات مختلفة
تكافؤ الإختبار/ تكافؤ الدرجات الكلية	تشتمل الأداة على وحدة قياس واحدة وأصل واحد عبر مجموعات ثقافية مختلفة

1- تكافؤ البنية:

أن عدم تكافؤ البنية يعني به إنعدام القابلية التامة للمقارنة كما لو قارنا البرتقال مع التفاح وهذا النمط من عدم التكافؤ هو نتيجة إنحياز البنية، ويستحيل مقارنة الدرجات عبر الثقافات استنادا الى عمليات/فعاليت غير تامة أو غير ملائمة وهذا معناه أن تركيب البنيوي للسمة المراد قياسها والسلوكات المكونة لها تختلف من ثقافة الى أخرى وبشكل أوضح هو التعريف الإجرائي لهذه السمة يختلف من ثقافة الى أخرى (Hambleton, 2003)

2- تكافؤ البناء:

هذا النمط يعرف بعدة أسماء مختلفة أكثرها شيوعا هو التكافؤ البنيوي الوظيفين ويستخدم هذا النمط بصنف من الإجراءات التي تستخدم لإقامة التطابق في البنيات بين المجموعات (ثقافات) كما هو معمول به في إحدى إختبارات القياس النوعية، بشكل عام يتطلب هذا النوع من التكافؤ أن تكون نماذج العلاقات بين المتغيرات هي نفسها في كل ثقافة.. ويستخدم هذا النوع من التكافؤ في العديد من مشروعات تكييف الإختبارات (Hambleton & All, 2005).

فعندما يجري تهيئة ترجمة إختبار ما الى لغة أخرى تظهر مسألة صدق البنية أي هل يقيس النص الأصلي والنص المترجم للإختبار البنية النفسية ذاتها؟ يكون هذا التساؤل مهما عندما يترجم إختبار حرفيا، وفي مثل هذه الحالات غالبا مايستخدم التحليل العملي التوكيدي والاستكشافي متبوعا بتبادل الهدف لدراسة تماثل عوامل البنود عبر ثقافات سكانية، إن تماثل محتويات العامل في كل بند ينظر اليه كشرط اساسي للتكافؤ البنيوي، فعند إجراء أي تعديل لابد أن تظهر العوامل السابقة نفسها، إلا أنه لا يمكن توقع حصول

تطابق تام في كل واحد مع البنود في النسختين، فعلى سبيل المثال هناك أربعين ترجمة لكل من (Spielberger, Gorsuch & Lushene) على إختبارات الشخصية لسمات القلق (STAI) لم تكن الغاية المهمة من أكثر هذه الترجمات إنتاج ترجمة حرفية للنص الانجليزي، وإنما إعداد إختبار قادر على تقييم القلق بشكل مناسب في الثقافة التي يجري الترجمة إليها، فإذا أخذنا هذا الهدف بعين الاعتبار يصبح العالم الخاص بتقنيات التحليل أقل ملائمة ويصبح إختبار شبكة النواميس المهيمنة على حقل البند هي الأكثر صلاحية (Cronbach & Meehl, 1955). وفي نفس الوقت نقوم بإختبار الروابط (العلاقة) مع إختبارات أخرى للقلق المتوفرة في لغة الهدف كما نقوم بإختبار الروابط (العلاقة) مع المقاييس الخاصة بالبنية غير ذات الصلة بالموضوع (Hambleton & All, 2005).

3- تكافؤ وحدة القياس:

ويقصد بهذا المستوى من التكافؤ أن يكون الإختبار في كل الثقافات له نفس المسافة أي أن القياسات هي نفسها على مختلف المستويات، إن إختبارين يديان وحدات قياسية متكافئة إذا كان لهما نفس وحدة القياس ولها في نفس الوقت مصدر مختلف، وهذا هو أدنى مستوى من التكافؤ وفيه يمكن مقارنة مستوى الدرجات بشكل صحيح ولو كان ذلك مع بعض القيود، فالفوارق بين الافراد التي تشاهد في المجموعة الاولى يمكن أن نفاونها بالفوارق بين الافراد المجموعة الثانية، ومثال على هذا فإذا حقق إختبار إنبساط الشخصية هذا النمط من التكافؤ أمكن الإجابة عن التساؤل عما إذا كانت إختلافات الجنس (ذكر/أنثى) في ذلك الإختبار متماثلة عبر مجموعات ثقافية مختلفة، ومع ذلك ونظرا لإحتمال وجود إختلاف في مصدر الإختبار لا يمكن إجراء مقارنات بين الدرجات عبر المجموعات، وهكذا يصبح مستحيل القول بأن إحدى المجموعات تحصل على مستوى أعلى من غيرها في هذا الإختبار (إختبار انبساط الشخصية) أو أن الشخص (س) من المجموعة (1) هو أكثر أنبساطا من الشخص (ع) من المجموعة (2) إلا عندما تكون وحدات القياس في الإختبار متكافئة في كامل المجموعات (Hambleton & All, 2005).

4- تكافؤ الدرجات الكلية:

إن الإختلافات الاساسية في مستوى الدرجات يمكن دراسته فقط عندما تبدي الدرجات تكافؤ أعلى وهذا ما يسمى بتكافؤ الدرجات في الإختبار. إن القياسات التي تبدي هذا النمط من التكافؤ تملك نفس وحدات القياس ونفس المصدر في كل المجموعات، وفي هذا النمط من التكافؤ تستطيع الدرجات الكلية تجاوز الحدود الثقافية واللغوية دون أي مشكلات كما يمكن مقارنتها بشكل سليم لدى أشخاص من ثقافات مختلفة (Hambleton & All, 2005).

التكافؤ والإنحياز:

إن التكافؤ والإنحياز مرتبطان بشكل وثيق، وحتى بعض المؤلفين يستخدمون هذين المصطلحين للدلالة على نفس المعنى ذاته، بعد التعرف على هذا المصطلحين فيما سبق أصبح من الممكن دراسة العلاقة بينهما بشكل واضح، فمن الممكن أن يعمل الإنحياز على تخفيض التكافؤ وقد لا يخفضه في نفس الوقت (Hambleton & All, 2005). وهذا ما يبينه الجدول الموالي:

جدول رقم (07) يبين تأثير نمط الإنحياز في مستوى التكافؤ

التكافؤ		الإنحياز	
مستوى التكافؤ		نمط الإنحياز	البنية
الاختبار	وحدة القياس	إنحياز البنية	نعم
نعم	نعم	إنحياز المنهج المتسق	لا
نعم	لا	إنحياز المنهج غير المتسق	لا
نعم	نعم	إنحياز البند المتسق	لا
نعم	لا	إنحياز البند غير المتسق	لا
نعم	نعم		

إن مقارنة الدرجات بشكل مباشر مثل أفراد المجموعة (01) أكثر إنبساطاً في المتوسط من أفراد المجموعة (02) يتطلب مستوى أعلى من تكافؤ البنية أي هل يعتبر الانبساط على أنه بنية متماثلة في المجموعتين. إن إنحياز البنية هو أهم التحديات التي تواجه مقارنة الدرجات لأن هذا الإنحياز يسبب نوعاً من عدم التكافؤ الذي يحول دون أية مقارنة عبر الثقافات، لهذا السبب قد يبدو عدم التكافؤ غير مرغوب فيه، ومع ذلك فإن هذا الوضع قد يكون نقطة بدء لاستكشاف الفروقات المهمة بين الثقافات التي تتجاوز إنحياز البند أو المنهج وقد تشمل المفهوم التكويني للبنية (Poortinga & Van der Flier, 1988)

إذا كنا مهتمين بمعرفة ما إذا كان الاختبار يقيم بعض السمات أو القدرات في ثقافات مختلفة فيكفي إقامة تكافؤ بنيوي، في هذه الحالة يكون إنحياز المنهج ذو أهمية أساسية. وتؤخذ التحليلات الإحصائية للتكافؤ البنوي بعين الاعتبار العلاقات المتبادلة في المقام الأول ولا يؤثر إنحياز المنهج على هذه العلاقات. أما عندما يتم تحليل الدرجات على البند تصبح الصورة أكثر تعقيداً، وهنا نقترح لمعالجة موضوع التكافؤ البنوي التحليل العملي الاستكشافي يتلوه تدوير الهدف. إن إختلافات في محتوى العامل عبر الثقافات تؤخذ على أنها دليل على إنحياز البند (إذا كان جزء من البنود منحازة) أو غياب التكافؤ البنوي (أغلب البنود منحازة)، فإذا أبدى أحد البنود إنحيازاً متماثلاً فمن المحتمل أن تبقى العلاقة

مع غيره من البنود ثابتة، وفي هذه الحالة لا يشير التحليل العاملي الاستكشافي لهذا الإنحياز لكن في الإنحياز غير المنتظم أو غير المتماثل فسيكشف عنه التحليل العاملي الاستكشافي، لأن هذا النمط من الإنحياز يرجح أن يؤدي الى نماذج متباينة من الروابط عبر المجموعات الثقافية بين هذا البند وغيره من البنود، كما تدل البحوث ان الإنحياز المتسق أكثر شيوعاً من الإنحياز غير متسق، فهنا يكون التحليل العاملي الاستكشافي متبوعاً بتدوير الهدف إجراء كافياً لتحديد إنحياز البند عندما يكون القصد تكافؤ البنية فقط

عند مناقشة الانماط الأخرى للتكافؤ (وحدة القياس ودرجة الكلية للقياس) يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار التمييز بين الإنحياز المتسق والإنحياز غير متسق، فلا يعارض الإنحياز المتسق من تكافؤ وحدة القياس، لأنه مع هذا المستوى من التكافؤ لا يمكن مقارنة الدرجات مباشرة عبر الثقافات، حيث أن إضافة رقم ثابت الى جميع الدرجات لا يسيئ الى هذا النمط من التكافؤ، ومع ذلك فإن الإنحياز المتسق سوف يؤثر على فاعلية المقارنة بين الدرجات التي تبدو تكافؤ إختبار ما، أما الإنحياز غير متسق فيؤدي الى عدم تكافؤ في القياس وفي الدرجة النهائية، لأن هذا النمط من الإنحياز يقضي على تماثل وحدة القياس عبر المجموعات. (Hambleton & All, 2005)

استنتاج عام:

إذا عدنا الى الجزائر نجد أنه من الواجب على الباحثين الذين يقومون بإستعمال إختبارات غربية الإنتباه إلى عملية التكيف، والتي تتضمن كل ما له علاقة بالثقافة المستهدفة والتي تتمثل في الإختلافات اللغوية الثقافية، قواعد الدرجات، لغة التعليمات، آفة الإختبار، تكافؤ البنود والبنية والإختبار، إدارة الإختبار، تكافؤ المنهج، خصوصية المجموعة المستهدفة. إضافة إلى ما يتعلق بجوانب تطبيق الإختبار من خبرة لدى المفحوصين وجنس المطبق وقدرة المفحوصين على فهم التعليمات ودافعتهم للاستجابة للإختبار، وهذه الامور أصبحت غير موجودة تماماً في الوقت الحاضر وخاصة في الإختبارات التي أصبحت تستعمل في البيئة الجزائرية بالرغم من أن هذه الإختبارات هي ذات منشأ غربي، فكثير من الباحثون يعتقدون أن عملية الترجمة التي يقومون بها كافية لجعل هذه الإختبارات صالحة في بيئات ثقافية مغايرة، إلا أن في حقيقة الأمر كل ما يتعلق بالإختبار من إدارته، محتواه، نوعه، تعليماته هي مفاهيم مهمة في عملية التكيف والنقل الثقافي للإختبارات النفسية.

إن هذه الإختبارات التي أصبحت مستعملة في كامل البيئة العربية بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة ونظراً لسوء عملية النقل التي أجرت لها جعلها تعاني من عدة مشكلات ونقصات فأغلبها تعطي إجابات مزيفة ومعظمها لا يتفق محتواها مع ثقافة المجتمع، كما أنها تفتقد الى التصور النظري أو المقاربة النظرية، وفي نفس الوقت تطبق على عينات متباينة ثقافياً واجتماعياً وعمرياً عن عينة البيئة الأصلية. فكل هذه النقصات الموجودة فيها

جعلها عرضة الى الإنحيازات الثقافية والتي تعتبر أكبر مهدد لصدق الإختبارات المكيفة فهذه الإنحيازات الثلاث (إنحياز البند، إنحياز المنهج، إنحياز البند) والتي لا يتحقق من وجودها أغلب الباحثين في الإختبارات الغربية التي يستعملها في دراساتهم إلا أنها تكشف عن مدى صدق الإختبارات المكيفة وتزودنا بمجموعة من العناصر الأساسية ومن بينها عملية التكافؤ التي نقوم بها في درجات الاختبار المستعمل، فوجود إنحياز معين من بين أنواع الانحياز يفقد الاختبار عدة صفات مهمة فيه كصدقه وتكافؤ درجاته وبالتالي إصدار أحكام وإعطاء تشخيص مبني على مجموعة من المبادئ الخاطئة.

المراجع:

1. أمحمد بوزيان تيغزة (2008) نظرية الصدق الحديثة ومتضمناتها التطويرية لواقع القياس، ندوة علم النفس جامعة الملك سعود، كلية التربية، الرياض، السعودية
2. أوتو كلينبارج، ترجمة رشدي فاهم والمهدي أحمد (1971)، البحوث السيكولوجية في الفروق العنصرية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
3. رونالد ك. هامبلتون، تكيف الاختبارات التربوية والنفسية للتقييم عبر الثقافات، ترجمة هالة برمدا، مراجعة مصطفى عشوي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1 2006
4. فاروق عبد الفتاح (1990) القياس النفسي والتربوي للأسوياء والمعوقين، ط1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.
5. Anastasi Anne (1976) Psychological Testing, New York, Mak Millan.
6. Anastasi Anne (1982) Psychological Testing (fifth Ed), Macmillan publishing Co, Inc, New york.
7. Anastasi Anne And Urbina S (1997) Psychological Testing (7th Ed), New Jersey, Prentice Hall.
8. Beck R (1992) Applying Psychology, critical and creative thinking, (3th ED), Prentice Hall, Englewood Cliffs, New Jersey
9. Hambleton R.K and Bollwark J (1991) Adapting Tests For Use In Different Cultures Technical Issues And Methods, Bulletin of The International Test Commission.
10. Hambleton R.K and Patsula L (1999) Increasing The validity Of Adapted Tests, Myths To Be Avoided And Guideline For Improving Test Adaptation Practices, Applied Testing Technology, 1(1)
11. Hambleton R.K and Sereci S (2003) Pitfalls And Obstacles In The Test Adaptation Process, A meta-analysis (Centre For Educational Assessments Research Report No 489) Amherst, MA Univ of Massachusetts, School of Education.

12. Heartel Edward (1985) Construct Validity And Criterion Referenced Testing, Review of Educational Research vol 55, No1.
13. Holland P.W and Thayer D.T (1988) Differential Item Performance And The Mantel- haenszel Procedure, In H Wainer And H.I Braun (Eds) Test Validity, Hillsdale, NJ Lawrence Erlbaum Associates.
14. Kaufman and AL (2000) Testes of Intelligence, in Sternberg, R (Ed), handbook of intelligence, Cambridge Univ, press, New York.
15. Lee j Cranbach (1988) Five Perspectives on Validity Argument, In H Wainer (ED), Test Validity, Hillsdale, NJ, Erlbaun.
16. Lee J Cranbach and Gleser G.C (1965) Psychological Tests And Personnel Decisions, (2nd ed), Univ of Illinois Press, Urbana
17. Lee J Cranbach And Paul Meehl (1955) Construct Validity In Psychological Tests, First Published in Psychological bulleten, New York University.
18. Linn R.L (1994) Performance-based Assessment, Implications Of Task Specificity, Educational Measurement, Issues And Practice, vol 13, No3.
19. Maguire T And All (1994) Construct Validity and Achievement Assessment, the Alberta Journal of Educational Research, XL, No2.